تفسير ابن كثير

قال الإمام أحمد : حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى ا عليه وسلّم وعنده أبو جهل وعبد ا بن أبي أمية فقال [أي عم قل لا إله إلا ا كلمة أحاج لك بها عند ا D] فقال أبو جهل وعبد ا بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال : أنا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى ا عليه وسلّم [لأستغفرن لك ما لم أنه عنك] فنزلت { ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم } قال ونزلت فيه { إنك لا تهدي من أحببت ولكن ا يهدي من يشاء } أخرجاه وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم أخبرنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الخليل عن علي ؟ مشركان وهما لأبويه الرجل أيستغفر : فقلت مشركان وهما لأبويه يستغفر رجلا سمعت : قال Bه فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه ؟ فذكرت ذلك للنبي صلى ا عليه وسلّم فنزلت { ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين } الاية قال لما مات فلا أدري قاله سفيان أو قاله إسرائيل أو هو في الحديث لما مات (قلت) : هذا ثابت عن مجاهد أنه قال لما مات وقال الإمام أحمد : حدثنا الحسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا زبيد بن الحارث اليامي عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال كنا مع النبي صلى ا عليه وسلّم ونحن في سفر فنزل بنا ونحن قريب من ألف راكب فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان فقام إليه عمر بن الخطاب وفداه بالأب والأم وقال : يا رسول ا مالك ؟ قال [إني سألت ربي D في الاستغفار لأمي فلم يأذن لي فدمعت عيناي رحمة لها من النار وإني كنت نهيتكم عن ثلاث : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها لتذكركم زيارتها خيرا ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا وأمسكوا ما شئتم ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية فاشربوا في أي وعاء شئتم ولا تشربوا مسكرا] .

وروى ابن جرير من حديث علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي صلى ا عليه وسلّم لما قدم مكة أتى رسم قبر فجلس إليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول ا إنا رأينا ما صنعت قال : [إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي] فما رئي باكيا أكثر من يومئذ وقال ابن أبي حاتم في تفسيره : حدثنا أبي حدثنا خالد بن خداش حدثنا عبد ا بن وهب عن ابن جريج عن أيوب بن هانىء عن مسروق عن عبد ا بن مسعود قال : خرج رسول ا صلى ا عليه وسلّم يوما إلى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم

قام فقام إليه عمر بن الخطاب فدعاه ثم دعانا فقال [ما أبكاكم ؟] فقلنا بكينا لبكائك قال : [إن القبر الذي جلست عنده قبر آمنة وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي] ثم أورده من وجه آخر ثم ذكر من حديث ابن مسعود قريبا منه وفيه [وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي وأنزل علي { ما كان للنبي والذين آمنوا } الاية فأخذني ما يأخذ الولد للوالد وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الاخرة] .

(حديث آخر) في معناه قال الطبراني : حدثنا محمد بن علي المروزي حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب حدثنا إسحاق بن عبد ا بن كيسان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه أن استندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم فذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه طويلا ثم إنه بكى فاشتد بكاؤه وبكى هؤلاء لبكائه وقالوا ما بكى نبي ا بهذا المكان إلا وقد أحدث ا في أمته شيئا لا تطيقه فلما بكى هؤلاء قام فرجع إليهم فقال : [ما يبكيكم ؟] قالوا يا نبي ا بكينا لبكائك فقلنا لعله أحدث في أمتك شيء لا تطيقه قال : [لا وقد كان بعضه ولكن نزلت على قبر أمي فسألت ا أن يأذن لي في شفاعتها يوم القيامة فأبى ا أن يأذن لي فرحمتها وهي أمي فبكيت ثم جاءني جبريل فقال : { وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو تبرأ منه } فتبرأ أنت من أمك كما تبرأ إبراهيم من أبيه فرحمتها وهي أمي ودعوت ربي أن يرفع عن أمتي أربعا فرفع عنهم اثنتين وأبى أن يرفع عنهم اثنتين ودعوت ربي أن يرفع عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض وأن لا يلبسهم شيعا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فرفع ا عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض وأبى ا أن يرفع عنهم القتل والهرج] وإنما عدل إلى قبر أمه لأنها كانت مدفونة تحت كداء وكانت عسفان لهم وهذا حديث غريب وسياق عجيب وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة في حديث فيه قصة أن ا أحيا أمه فآمنت ثم عادت وكذلك ما رواه السهيلي في الروض بسند فيه جماعة مجهولون : إن ا أحيا له أباه وأمه فآمنا به وقد قال الحافظ ابن دحية في هذا الاستدلال بما حاصله أن هذه حياة جديدة كما رجعت الشمس بعد غيبوبتها فصلى علي العصر قال الطحاوي : وهو حديث ثابت يعني حديث الشمس قال القرطبي : فليس إحياؤهما يمتنع عقلا ولا شرعا قال وقد سمعت أن ا أحيا عمه أبا طالب فآمن به (قلت) وهذا كله متوقف على صحة الحديث فإذا صح فلا مانع منه وا أعلم .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله : { ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين } الاية أن النبي صلى ا عليه وسلّم أراد أن يستغفر لأمه فنهاه ا D عن ذلك فقال [إن إبراهيم خليل ا قد استغفر لأبيه] فأنزل ا { وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن

موعدة وعدها إياه } الاية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الاية كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الاية فأمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ثم أنزل ا { وما كان استغفار إبراهيم لأبيه } الاية وقال قتادة في الاية : ذكر لنا أن رجالا من أصحاب النبي صلى ا عليه وسلّم : قالوا : يا نبي ا إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام ويفك العاني ويوفي بالذمم أفلا نستغفر لهم ؟ قال : فقال النبي صلى ا عليه وسلّم [بلى وا إني لأستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه] فأنزل ا { ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين } حتى بلغ قوله { الجحيم } ثم عذر ا تعالى إبراهيم عليه السلام فقال : { وما كان استغفار إبراهيم لأبيه } الاية قال : وذكر لنا أن نبي ا صلى ا عليه وسلّم قال : [قد أوحى ا إلي كلمات فدخلن في أذني وقرن في قلبي : أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركا ومن أعطى فضل ماله فهو خير له ومن أمسك فهو شر له ولا يلوم ا على كفاف] .

وقال الثوري عن الشيباني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مات رجل يهودي وله ابن مسلم فلم يخرج معه فذكر ذلك لابن عباس فقال : فكان ينبغي له أن يمشي معه ويدفنه ويدعو له بالصلاح ما دام حيا فإذا مات وكله إلى شأنه ثم قال : { وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو تبرأ منه } لم يدع ويشهد له بالصحة ما رواه أبو داود وغيره عن علي Bه لما مات أبو طالب قلت يا رسول ا : إن عمك الشيخ الضال قد مات قال : [اذهب فواره ولا تحدثن شيئا حتى تأتيني] فذكر تمام الحديث وروي أنه صلى ا عليه وسلّم لما مرت به جنازة عمه أبي طالب قال : [وصلتك رحمة يا عم] وقال عطاء بن أبي رباح : ما كنت لأدع الصلاة على أحد من أهل القبلة ولو كانت حبشية حبلى من الزنا لأني لم أسمع ا حجب الصلاة إلا عن المشركين يقول ا D : { ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين } الاية .

وروى ابن جرير عن ابن وكيع عن أبيه عن عصمة بن زامل عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول رحم ا رجلا استغفر لأبي هريرة ولأمه قلت ولأبيه قال لا قال إن أبي مات مشركا وقوله : { فلما تبين له أنه عدو تبرأ منه } قال ابن عباس : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما تبين له أنه عدو تبرأ منه وفي رواية لما مات تبين له أنه عدو وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم رحمهم ا وقال عبيد بن عمير وسعيد بن جبير : إنه يتبرأ منه يوم القيامة حتى يلقى أباه وعلى وجه أبيه القترة والغبرة فيقول : يا إبراهيم إني كنت أعصيك وإني اليوم لا أعصيك فيقول أي رب ألم تعدني أن لا تخزني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد فيقال انظر إلى ما وراءك فإذا هو بذيخ متلطخ أي قد مسخ ضبعا ثم يسحب بقوائمه ويلقى في النار وقوله : { إن إبراهيم لأواه حليم } قال سفيان الثوري وغير واحد

: عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد ا بن مسعود أنه قال الأواه الدعاء وكذا روي من غير وجه : عن ابن مسعود وقال ابن جرير : حدثني المثنى حدثنا الحجاج بن منهال حدثني عبد الحميد بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب عن عبد ا بن شداد بن الهاد قال : بينما النبي صلى ا عليه وسلّم جالس قال : رجل يا رسول ا ما الأواه ؟ قال : [المتضرع] قال : { إن إبراهيم لأواه حليم } ورواه ابن أبي حاتم : من حديث ابن المبارك عن عبد الحميد بن بهرام به ولفظه قال الأواه المتضرع الدعاء وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي الغدير أنه سأل ابن مسعود عن الأواه فقال هو الرحيم وبه قال مجاهد وأبو ميسرة عمر بن شرحبيل والحسن البصري وقتادة وغيرهما أي الرحيم أي بعباد ا .

وقال ابن المبارك عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال : الأواه الموقن بلسان الحبشة وكذا قال العوفي عن ابن عباس أنه الموقن وكذا قال مجاهد والضحاك وقال علي بن أبي طلحة ومجاهد عن ابن عباس : الأواه المؤمن زاد علي بن أبي طلحة عنه : هو المؤمن التواب وقال العوفي عنه هو المؤمن بلسان الحبشة وكذا قال ابن جريج هو المؤمن بلسان الحبشة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال لرجل يقال له ذو البجادين [إنه أواه] وذلك أنه رجل كان إذا ذكر ا في القرآن رفع صوته بالدعاء ورواه ابن جرير وقال سعيد بن جبير والشعبي : الأواه المسبح وقال ابن وهب عن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء Bه قال : لا يحافظ على سبحة الضحى إلا الأواه وقال شفي بن مانع عن أبي أيوب الأواه الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها وعن مجاهد الأواه الحفيظ الوجل يذنب الذنب سرا ثم يتوب منه سرا ذكر ذلك كله ابن أبي حاتم C وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع حدثنا المحاربي عن حجاج عن الحكم عن الحسن بن مسلم بن بيان أن رجلا كان يكثر ذكر ا ويسبح فذكر ذلك للنبي A فقال [إنه أواه] .

وقال أيضا : حدثنا أبو كريب حدثنا ابن هانىء حدثنا المنهال بن خليفة عن حجاج بن أرطاة عن عطاء عن ابن عباس أن النبي A دفن ميتا فقال : [رحمك ا إن كنت لأواها] يعني تلاء للقرآن وقال شعبة عن أبي يونس الباهلي قال سمعت رجلا بمكة وكان أصله روميا وكان قاصا يحدث عن أبي ذر قال : كان رجل يطوف بالبيت الحرام ويقول في دعائه : أوه أوه فذكر ذلك للنبي A فقال : [إنه أواه] قال : فخرجت ذات ليلة فإذا رسول ا A يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح هذا حديث غريب رواه ابن جرير وروي عن كعب الأحبار أنه قال : سمعت { إن إبراهيم لأواه } قال كان إذا ذكر النار قال : أوه من النار وقال ابن جريج عن ابن عباس { إن إبراهيم لأواه } قال : فقيه قال الإمام أبو جعفر بن جرير : وأولى الأقوال قول من قال إنه الدعاء وهو المناسب للسياق وذلك أن ا تعالى لما ذكر أن إبراهيم إنما استغفر لأبيه

عن موعدة وعدها إياه وقد كان إبراهيم كثير الدعاء حليما عمن ظلمه وأناله مكروها ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله { أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ؟ لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا * قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا } فحلم عنه مع أذاه له ودعا له واستغفر ولهذا قال تعالى : { إن إبراهيم لأواه حليم }